المدى الثقافي

روائيون عراقيون يدلون بشهاداتهم عن الرحلة الإبداعية لنجيب محفوظ

بعد رحلة طويلة مع الإبداع إمتدت نحو سبعين عاما وأثمرت نحو خمسين عملا روائيا وقصصيا، يرقد الروائي العربي الكبير نجيب محفوظ في حالة حرجة بمستشفى الشرطة بالقاهرة إثر ازمة صحية تعرض لها مؤخرا..وفي هذا التقرير نتعرف على آراء روائيين عراقيين في تجربة محفوظ ورحلته الإبداعية الطويلة.

حاتم حسن: شخصية منظمة

مع الاخبار التي تصل الى العراق عبر الفضائيات والصحف يتابع مثقفو وأدباء ارض الرافدين الحالة الصحية لمحفوظ وآخر تطوراتها لأن الرجل اكتسب سمعة قل ان ينالها اديب عربي إذ أنه الاديب العربي الوحيد الذي نال جائزة نوبل،وكان لهذا اثره في تغيير مسار الرواية العربية.

"وحتى قبل ان ينال الجائزة كان كل من يقترب منه من الادباء يشعر بأنه امام عملاق كبير"،هذا ما يؤكده القاص العراقي حاتم حسن وهو من جيل الستينيات،حيث يقول إن لقاءه مع محفوظ هو احدى ذكرياته التي لن ينساها..

ويضيف "التقيت بنجيب محفوظ في احد مقاهي القاهرة في اواخر السبعينيات وطيلة المدة التي قضيتها هناك،كنت احرص يوميا على اللقاء بهذا العملاق الكبير،حتى انني كنت انسى الوفد الذي كنت برفقته..وقد بحثوا عني طويلا في اليوم الاخير لاقامتنا هناك،حتى وجدوني اخيرا في ذلك المقهى.." ..يسكت حاتم حسن برهة، ثم يستطرد حاثا ذاكرته "نجيب محفوظ شخص غاية في التنظيم،وفي وقتها كان ينتقد الشباب لعدم حرصهم على تنظيم اوقاتهم،لذلك فأن وقته كان يتسع ويتضاعف بالتنظيم،وهذا درس حاول ان يعلمنا اياه،وانها ليست مبالغة ان رواد المقهى كانوا يضبطون ساعاتهم على اطلالته،ففي الساعة الرابعة من كل يوم كان يخرج من بين الزحام الرهيب في الخارج ليدخل المقهى."

وعن شخصية محفوظ، يقول حاتم حسن "من بين ما عرفته عن هذا الرجل العظيم، انه كان حريصا على الالتزام بعلاقاته الاجتماعية ووفيا لاصدقائه ومعارفه،أي كما نقول عندنا،انه صاحب واجب،وفي نفس الوقت كان شخصا متواضعا يحب البساطة،حتى ان من حوله يطمئنون بسرعة اليه"..ويضيف حسن "ما أريد ان أؤكده ان نجيب محفوظ خلق ليكون روائيا،فهو حتى في حديثه البسيط،يشعر المستمع انه داخل رواية تنسج من حوله ..رواية يتحكم بها هذا المبدع الكبير."

نجيب محفوظ

شاكر الانباري: محفوظ احد اهرام مصر

الروائي العراقي شاكر الانباري يرى ان "محفوظ هو احد اهرام مصر العظيمة وهو باق بالرغم من الزمن، إذ من النادر اليوم ان نجد كاتبا يمتلك هذا الاصرار والتنوع والعمق الذي امتلكه. ومن النادر ان نجد في السنين القادمات إجماعا على الموهبة والعبقرية الروائية كذلك الإجماع الذي حظي به نجيب محفوظ بين القراء العرب."

ويضيف "هو دون شك معلّم الرواية العربية بمفهومها المعاصر، وهو لحظة التأسيس واضحة المعالم بين نثرين، تقليدي لما يزل ينسج على النمط العثماني، وآخر معاصر ينفتح على الحداثة الأوروبية وتنوير المفكرين العرب..وقد إستفاد من خبرات الرواية العالمية بدقة الوعي الفلسفي، وشفافية الأديب العازم على خلق بصمته الخاصة."

ويتابع الانباري قائلا "جاء ذلك التأسيس الروائي عبر اكثر من مستوى، لعل تطويع اللغة العربية كي تتواءم مع نمط السرد الروائي يعد الأبرز في ذلك التأسيس."

وعن الأدوات التي مكنت محفوظ من شخصياته،يقول الانباري" لقد امسك محفوظ بامكانيات اللغة العربية ليبني شخصيات تاريخية وأخرى معاصرة، شخصيات متعلمة وأخرى جاهلة، نبيلة وساقطة، وصولا الى الشخصيات المتصوفة التي تنطق باللغة العرفانية متعددة الأوجه، في قصصه ورواياته الأخيرة على وجه التحديد."

قرأ الانباري روايات نجيب محفوظ وقصصه منذ بداياته الأدبية، وما زاد ذلك اهمية كما يقول"الشيء الذي اعتبره مهما انني لم اشاهد تلك الروايات في السينما، فظلت في داخلي طازجة، وعميقة، لم تتعرض الى أي تسطيح او تحويل او فبركة. فكانت رادوبيس، والثلاثية العملاقة، وكانت السراب واللص والكلاب وأولاد حارتنا وألف ليلة، وغيرها الكثير، مما فتح لي عالما جديدا من النثر العربي، والهم العربي، والتساؤلات الروحية والاجتماعية والدينية."

ويرى الانباري ان قراءة محفوظ يمكن الالمام بها من جوانب عديدة، كأن يكون الجانب السياسي او الديني او الاجتماعي او اللغوي، وهذا وحده قمين بوضع ابداع محفوظ في مستوياته الرفيعة من الابداع البشري."

ويستطرد " في ثنايا كتاباته استطعت الاطلال على روح المجتمع المصري، وشخصياته الثرية والزاخرة بالتنوع والحياة، ووجدت في تلك الروايات مرآة لمصر التاريخ، ومصر الحضارة، ومصر القاع، مثلما وجدت ايضا هموم المجتمعات العربية الأخرى. اذ انه وباستخدام حيثيات الواقع المصري كمادة اولية، استطاع ببراعته الذهنية، وانفتاحه على الثقافة العربية والغربية في الآن ذاته، ان يعكس هموم المجتمع العربي عامة، منذ خمسينيات القرن الماضي وحتى الآن."

وتابع "ما كان يدهشني في هذا الروائي الفذ، قدرته على تسويغ اللهجة العامية في الحوار بين الشخصيات، والتمكن من لغة وسيطة لا هي بالمتحذلقة ولا بالركيكة، مع براعته في تشويق القارئ وشده كي يتابع أي رواية او قصة يكتبها. كان يذهب الى فكرته برؤية وثبات، دون الاتكاء على الانشاء، مرض العصر في واقعنا العربي."

عبد الرزاق المطلبي: رسالة رقيقة من محفوظ

ومن جانبه، يرى الروائي العراقي عبد الرزاق المطلبي وهو من جيل الستينيات واحد الادباء الذين أزعجتهم اخبار سوء حالة محفوظ الصحية،خاصة ان لديه اكثر من موقف شخصي معه، أن "محفوظ توقف فنيا منذ زمن وانه الان ليس اكثر من صورة فخرية لإطار بوصفه علامة تأسيسية في تاريخ انطلاق الرواية العربية."

اما عن بداياته مع محفوظ فيقول "من المؤكد ان نجيب محفوظ روائي مهم للكثير من ابناء جيلي،يوم لم تكن هناك من رواية عراقية فنية حديثة،لقد تتلمذ شباب الكتاب روائيا على القصة والرواية العالمية،وفي العراق لم يكن هناك جذر للروائيين الحداثويين،كان جيلنا يشعر بالغثيان من الروايات السائدة انذاك واسلوب القرون القديمة،قرأت اول ما قرأت الثلاثية فأعجبت بها، إذ لم اصدق ان عربيا يمكن ان يكتب رواية فنية على درجة من الحساسية والشمول والدقة الفنية ولو ضمن المنطق التقليدي الذي كان بالنسبة لنا وحتى الاعمال الاجنبية تقليديا."

ويستطرد "في مرحلة الخمسينيات وكنت تلميذا صغيرا نشرت ردا على الاستاذ الوناوي في كتابه (خواطر واراء) والذي سطر مآخذ كثيرة على الثلاثية،وفي هذه المقالة اجتمعت لاول مرة مع الاستاذ باسم عبد الحميد حمودي،ثم صرت اطلب روايات محفوظ كما اطلب الروايات العالمية وأقرأها بشغف،لقد كان تأثيره كبيرا علي،صرت بعدها اناضل للفكاك منه،وقد شكل هذا علامة لي، وفي احدى رواياتي الاولى كتب الدكتور ماهر حسن مقدمة اشار فيها الى تماثلها مع روايات محفوظ فنيا."

وعن رحلة محفوظ الروائية يقول المطلبي"لقد سجل هذا الروائي خلال رحلته تطورا هائلا إذ انتقل من الرؤية الاجتماعية الى الرؤية النفسية ثم الرؤية الفلسفية،كما في رواية الشحاذ وروايته الرائعة اولاد حارتنا."

المطلبي له حكاية يعتز بذكرها حدثت له مع اصدار روايته الاولى،يقول عنها"حرصت على ان ابعث روايتي الاولى (الظامئون) الى نجيب محفوظ،حينها ارسل لي رسالة رقيقة شجعني فيها،قال في معرضها انه سيضع روايتي محتفلا بها في صدر مكتبته."

ويضيف "وحدث امر اخر لايعرفه احد غيري،هو اني كتبت رواية اسميتها (ضياع في الضباب)،لكنني مالبثت ان اطلعت بعدها على رواية الطريق،فرأيت ان الروايتين تتطابقان تقريبا،فرميت بروايتي إذ ما من احد سيصدق انني قد كتبتها قبله خاصة اني لم اكن معروفا بعد."

ولد محفوظ في القاهرة عام ١٩١١ في حي الجمالية،وهو قلب القاهرة القديمة،فكانت نشأته هناك المنبع الأول الذي رفد رواياته بالحس الشعبي الذي جسده في صور بالغة الروعة..شغلت الكتابة حياة محفوظ حتى كانت سر حياته،وترجمت أعماله إلى ٢٥ لغة تم نشرها في مختلف أنحاء العالم، كما تعرض لمحاولة اغتيال عام ١٩٩٤ على يد احد المتشددين الاسلاميين بسبب روايته أولاد حارتنا والتي كانت احد اهم اعماله التي نال عنها جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٨٨، وأدى هذا الإعتداء الى تدمير اعصاب الرقبة الى حد اضعف من قدرته على استخدام يده في الكتابة الى جانب مايعانيه من تدهور في البصر والسمع،ومنذ ذلك الحين لم يكتب محفوظ سوى نوع من القصص القصيرة اطلق عليها (احلام النقاهة) وتوج بها حياته الأدبية باتجاهات صوفية.

واخيرا.. لابد من الإشارة الى إجماع العديد من النقاد على أن نجيب محفوظ علامة تأسيسية في تاريخ الرواية العربية وقد تمثلت مغامراته التصويرية بتقطيع البناء التقليدي حيث احتفظ بنسيجه على مدى عقود من الابداع محفوظيا تماما.

ضياء الخالدي يتحدث عن روايته الجديدة

يحدث في البلاد السعيدة

حاوره/ناظم العبيدي

ضياء الخالدي من الكتاب الشباب ولد في بغداد (١٩٧٥) وهو قاص وروائي، اصدر عام ٢٠٠١ مجموعته القصصية البكر (النشيد الاخير) واستمر مهووساً بالقصة والرواية وهذا الحوار صورة لما حدث عند الخالدي وافكاره حول الرواية.

❖ ما الذي حدث في البلاد السعيدة؟

– حدثت اهوال وكوارث يعرفها الجميع.. مصائب (كونية) انهمرت على بلد اسمه العراق، وشاء القدر ان نكون نحن (مثقفين أم غير مثقفين) شهوداً على تلك المصائب.. المشكلة ان بلدنا السعيد قد استطاع وعبر ابنائه ان يغير طباع ابنائه! ويجعل من المأساة عنواناً وهوية لهم، مما ترك الباب مفتوحاً امام نزعات تدميرية تأكل الاخضر واليابس.. نزعات غريبة مدججة بانفعال يصعب ايقافه..

ان ما حدث في رواية (يحدث في البلاد السعيدة) هو جزء ضئيل من مأساة مزمنة عاناها الفرد العراقي خاصة، والفرد العربي عامة.. علاقة السلطة بالانسان البسيط، وعلاقة السلطة بالفرد المثقف، والزمن الذي دارت الاحداث فيه نهاية التسعينيات.. قطعة من تاريخ سري عاشته نماذج تتوق لحياة هادئة، ونماذج أخرى تريد الثورة على ما هو قائم، غير ان الجمود والسكون والسبات ابرز ما يمثلها.. بين هذه الثنائيات تكون لحظات الالم ثقيلة، قاتلة لمن يفكر ويتساءل عن معنى البقاء تحت قمع السلطة .. شخصية فهد، الجندي الذي يخدم آمر السرية يرى ان تعاقب الأيام والشهور والسنوات كفيلة بازالة الالم، بينما سليم ، ابن عمه المثقف يجد ان العزاء الوحيد له هو ارشفة ما يحدث في بلاده السعيدة عن طريق الصور الفوتوغرافية، لان الورقة والقلم لم يستطيعا نقل الحقيقة..

لقد استخدمت الفعل (يحدث) بدلاً من الفعل (حدث) لان امتدادات المشكلة مازالت مستمرة..مشاكل تتناسل من المشكلة الام: الديكتاتورية احتلال واصوليون ملثمون وميليشيات تفتك بالانسان على الهوية.. اننا ندور بسرعة الصاروخ داخل فعل (يحدث) الكبير، فعل مضارع لايزال يتحفنا يومياً بالخسارات الموجعة، ويجعلنا نبكي باستمرار كلما فقدنا شخصاً قريباً منا ونرى اليافطات السود والبيض ممهورة بعبارة الشهيد السعيد أو المأسوف على شبابه..

هل حقاً ما يحدث في بلادنا السعيدة الجميلة هو محض حلم سينتهي بلحظة صحو؟!

❖ كيف تنظر الى الواقع الثقافي في ظل الإرهاب والعنف؟

– الفوضى عارمة في بلدنا السعيد، والواقع الثقافي ليست له ملامح واضحة بحيث يستطيع ان يشكل قوة مؤثرة فيما يجري على الساحة .. ولكن على الرغم من ذلك فانه لايزال متعافياً ببعده عن التأثير الطائفي أو ضغوط المؤسسة الدينية، فلم نسمع حتى اللحظة ان جهة دينية – ربما في هذه الاوقات فقط– سددت سهامها على مثقف ما، وهذا يحسب لكل المؤسسات بتوجهها البعيد عن التعصب.. ولو تحدثنا عن الواقع الابداعي فاننا نصاب بخيبة امل كبيرة لعدم وجود اعمال مخبأة كتبت في ظل النظام السابق، فبعد أكثر من ثلاث سنوات لا يوجد ما كنا نتوقعه بظهور تيار أو انتقالة فريدة في السرد العراقي، وكان البعض ممن نسميهم ادباء كباراً ومن المعروفين بعدم انجرافهم الكامل في التعبئة الحزبية السابقة كانوا متضامنين معها.. وهؤلاء برأيي لا ينشغلون بالهم الانساني بقدر هوسهم الجنوني بالهم الروائي والقصصي، عليهم ان يكتبوا فقط عما اختزنته ذاكرتهم من صور قديمة، باهتة، لا يمكنها اثارة المتلقي العراقي الحزين والمثقل بهمومه الجديدة، ان الموضوعات التي يكتبونها غير عراقية، وهذا ابسط ما يقال..

ومع الفوضى دخلت للواقع الثقافي مجاميع لبيوتات وتجمعات وملتقيات ثقافية يرأسها اشخاص مزيفون.. اناس ينطلقون لتحقيق مكاسب مادية عبر الدعم من المؤسسات الخارجية أو وزارة الثقافة أو منظمات المجتمع المدني بحجة اسهامهم في صنع ثقافة عراقية رصينة وجديدة ومن خلال اقامة جلسات وندوات لا يحضرها الا الجهلة.. وعندما تؤرشف هذه الندوات عبر الصحف يتحقق الغرض وتوضع في ملف لا يهم ما لون غلافه ليكون شاهداً على ديمومة عمل هذه التجمعات، والتي تتعطل وتغلق ابوابها حالما يتم توزيع الحصص المادية وحسب الجهد المبذول والمركز (الاداري)..

ولا نتذكر وجود تجمعات حقيقية صادقة في بلدنا السعيد لكنها غير واضحة– ولا أقول غير مؤثرة– امام هذا السواد الاعظم.

❖ ما الذي يمكن ان يقدمه الابداع في اطار نشر ثقافة التسامح ونبذ العنف؟

–لنبدأ بالثقافة عموماً حيث يمكنها ان تساهم في ايضاح الامور الملتبسة، وخاصة فيما يخص الاحتلال والمقاومة اللذين اراهما ومن وجهة نظر خاصة ليسا ممن يساهم في تدمير البلد، بل فيما يدخل بينهما من مجاميع تكفيرية ومخابرات دول خارجية لها مصالحها الستراتيجية.. فسلطة الاحتلال ونعني اميركا من مصلحتها نهوض العراق ليكون قوة اقتصادية ضخمة، وهذا دليل على نجاحها بازالة الديكتاتورية وتكوين نظام ديمقراطي يكون انموذجاً لها في المنطقة، اضافة الى موقعه المتميز بين دول تراها مارقة عن خطها السائد.. وكذلك الامر بالنسبة للمقاومة (الشريفة) التي ترى مشكلات العراق الآنية من الاحتلال، وهي تستهدفه فقط، وغايتها اخراجه لبناء العراق وجعله بلداً مستقلاً.. وكما نرى ان المصلحتين تصبان في مصلحة الانسان العراقي، وعلى العكس من مصالح الفئة الثانية، الاولى تريد اقامة امارة طوباوية لا وجود لها الا في ادمغة عبدت التاريخ، والاخرى تنطلق من توجه مصلحي خاص بأنظمتها، وهنا لا وجود لمصلحة عراقية في ذلك .. ينبغي على الثقافة ان تنور الفرد العراقي بهذه الإشكاليات المتداخلة ومهما كان انتماؤه، للوصول الى عراق خال من العنف، وموحد والكل فيه ينظر الى المصلحة اولاً، ثم الى الطائفة أو القومية.

واذا عدنا لسؤالك عما يقدمه الابداع، فهو لا يستطيع الان فعل أي شيء، لان المرحلة حافلة بالمتغيرات، والجميع فيها يتحرك ويناور للحصول على مكتسبات وقتية، ربما الشعر يتمكن من الامساك باللحظة، ولكن القصة والرواية تودان فسحة زمنية تتوقف فيها الأشياء عن حركتها، لتبدأ مرحلة الغوص وتفكيك ما حدث.

ان رواية (يحدث في البلاد السعيدة) لا يمكن كتابتها قبل ٩/٤/ ٢٠٠٣، لاننا كنا داخل مرحلة ملتهبة، متحركة، ناهيك عن كمية الصدق التي لا يمكن لمؤسسة النظام الثقافية ان تتحملها.. كيف يمكن ان نكتب رواية عن المجازر اليومية التي ترتكب، وعن الانتهاكات والاختراقات في اجهزة الدولة؟ وعن الفساد الاداري والمالي؟ وعن آرائنا وافكارنا التي تتغير مع كل صدمة بانهيار تصور كنا نظنه سينقذ البلد من محنته؟ ان من يكتب رواية عن ذلك الان ستكون مليئة بالتناقضات، وخالية من الصدق الحقيقي وليس الصدق لحظة الكتابة، الذي سيتغير وربما يدخل في خانة التحزب لفئة ما، أو يكون العمل المكتوب ساذجاً لانه لم يستقرئ المرحلة جيداً!!.

❖ ما نعيشه من مخاطر يومية يؤثر كثيراً على عمل المثقف.. كيف تكتب في ظل هذه الظروف؟

– الكتابة الابداعية متوقفة تماماً، وما اكتبه من مقالات قليلة حول الرواية تجاهد في تشخيص امراض الرواية العراقية، المترهلة باللغة وبأسلوب جاف يطرد المتلقي البسيط.. وهنا لا أود الخوض في ذلك.

ان تزايد المخاطر جعلتني ابتعد شيئاً فشيئاً عن الكتابة، والالتجاء الى التأمل والقراءة، فالذهن تتزاحم فيه افعال القتل والدمار، وينتابك احساس اليم بان ما تكتبه لاقيمة له، ما دام لا يستطيع ان يوقف جريان الدم العراقي، ولكن هذا الاحساس مؤقت رغم سطوته المؤثرة، فاكتب هنا وهناك عن الأشياء الجميلة والمرتجاة لتحقيق الصورة التي تسكن خيالي..

واود في هذا المكان ان انقل واقعة حقيقية حدثت لكاتب هذه السطور في مجزرة حي الجهاد صباح الاحد الدامي، حيث كانت حياتي متوقفة بين قناعة شخصين من مجموعة تتجاوز التسعة افراد كانت تشكل نقطة تفتيش وهمية.. الشخص الأول يريد انزالي من سيارة (الكيا) مع شاب قربي، والشخص الثاني يمانع ويقول للسائق انطلق، هيا، انطلق.. وكانت الجثث تنتشر على بعد امتار قريبة منهما.. حتى انتصرت ارادة الشخص الثاني (الطيب) وانهزمت ارادة (الشرير).. وبقيت حياً!!

لا استطيع ان اصف الموقف حين تكون الروح معلقة بشخصين لا يعلمان ان الثقافة جوهر الانسان، وانهما بانفعالهما الطائفي يمكن ان يزيلا من والوجود شخصاً يعبد العراق واهله، يسجد لجباله واهواره ونخيله ونهريه وكل ذرة فيه.. ماذا تتوقعون ان اكتب عندما اعود الى البيت؟ كيف اعطي المشهد صدقاً حقيقياً نابعاً من لحظة الزوال.. دعونا الان نقرأ ونقرأ ونكتب ما نستطيع كتابته، ونتحدث للاقارب والاصدقاء عن الطائفية المقيتة، وخطرها في ازالة بلد عريق اسمه العراق...

❖ انت كتبت القصة في البداية.. أي انها كانت ارضك الاولى، لكنك عندما فكرت بنشر كتاب ذهبت الى الرواية؟

– القصة عالم جميل لكنها لا تسع عوالمي المحتقنة بالكوارث، وربما ثمة اعتراض على ذلك، ولكنني اجد نفسي في الرواية، لانها الأقدر على سبر حقيقة ما جرى لبلدنا، وفي تجسيد ما اريد قوله..

لقد كتبنا القصة في الزمن السابق بلغة محتدمة، شعرية، فائقة، تراوغ فيها الرقيب للوصول الى القارئ، وقد أصدرت مجموعة قصصية صغيرة بعنوان (النشيد الاخير) عام ٢٠٠١، وكانت غير مؤثرة لان مواصفاتها كما اشرت سابقاً، وتبعتها بأخرى عنوانها (انارة متربة) قدمت الى دار الشؤون الثقافية قبل سقوط النظام، ولكنها فشلت في اقناع الرقيب بنشرها لتبقى في الدار طوال الحرب الأخيرة، ولتقدم من جديد الى رقيب محايد، فتتم الموافقة على نشرها ولكنني سحبتها ونشرت هذه الرواية مكانها، وكلفني ذلك مدة انتظار قوامها سنتان.

لقد هجرت القصة القصيرة وحملت احلامي صوب الرواية، فصدمت بحواجز كثيرة أبرزها ان النماذج العراقية الجيدة قليلة جداً، على الرغم من الكم الهائل من الإصدارات والسبب انها رواية تكتب من اجل الكتابة، وليست للقراءة.. شخصيات باهتة ولغة (ثقيلة) تنفر المتلقي من الاستمرار معها.. انها رواية ناجحة في الدراسات النقدية، وفاشلة عند القراء.

كان علينا نحن الروائيين الشباب ان نعيد الثقة للقارئ العراقي اولاً، عليه ان يقرأ الرواية كلها ثم يقول عنها انها فاشلة وهذه أول خطوة للنجاح.. فما معنى ان نصدر رواية لا تتحدث عن أي حقبة دامية من تاريخنا أو واقعنا.. وبأسلوب جاف وجدب بالخيال.. إذن أي موضوع تستند اليه هذه الروايات؟ انها دعوة لقراءة الروايات التي صدرت بعيداً عن توجهات النظام السابق، وكانت فيها حرية الاختيار واضحة، مما يعطي حكماً منصفاً على اعمالهم غير المؤثرة والتي هي بالتأكيد خارج تاريخ الرواية العراقية المقروءة.. ونحن بأمس الحاجة لنقاد حقيقيين يقيمون تلك الكتل الورقية، وننتظر ايضاً السنوات القادمة لابتعاد رفاقهم القدامى عن سدة بعض الصحف التي لا تزال تنشر الملفات الأدبية الكاملة عنهم، وصفة الكبير تلتصق باسمائهم، وربما يقصدون كبر السن، وهم محقون في ذلك !!

ضياء الخالدي

التشكيلي علي عجيل : المفردات السومرية ادواتي للتواصل مع الحداثة

من لوحات علي عجيل

حسين كريم العامل

الناصرية

من غابات القصب.. من البدايات السومرية الاولى لسكان الاهوار، ومن اكواخ الصيادين انطلق الفنان التشكيلي علي عجيل بمشاحيفه السومرية نحو عالم التشكيل متخذا من لوح السبورة في مدرسته العتيقة فضاء للتحليق ومن فسحة الدرس لحظة صوفية، لحظة يوثق فيها ما اختزنته الذاكرة من صور وافكار وانطباعات عن عوالم الاهوار.

يقول الفنان التشكيلي علي عجيل المولود في الناصرية عام ١٩٦٢ عن تجربته الفنية.

من الخربشات الاولى على الورق والجدران ولوح السبورة وحتى مرحلة الحداثة والتجريب وانا انتقل من مرحلة فنية الى اخرى، فالموروث الشعبي والارث السومري حينما يمتزجان بالحداثة يستفزان الذاكرة ويشكلان نوعا من التواصل الابداعي بين الارث الحضاري ومنطلقات المستقبل، فالابواب القديمة والقباب والشبابيك والمثلثات السومرية وبقايا الجدران والجداول المندثرة وعفوية الاعمال الطينية التي ابدعها السومريون تشكل محور اعمالي التشكيلية التي حرصت على ان اضفي عليها طابع المعاصرة وان اتعامل معها وفق الاتجاهات الفنية الحديثة. وعن تمسكه بالارث والموروث الحضاري الموغل في القدم قال :

يعود ذلك الى البيئة التي عشت فيها فمفردات الموروث الشعبي من ابواب وشبابيك وتعاويذ واحجار طاردة للحسد وطقوس روحية كانت لصيقة بطفولتي، كما ان عالم الاهوار ترك بصماته الواضحة على مجمل تجربتي الفنية وكذلك فعل الحرف العربي والمفردات السومرية الاخرى التي اصبحت حجر الزاوية وصلب الموضوعة التي تتناولها معظم اعمالي الفنية ويمكنني القول ان المفردات السومرية هي الادوات التي اتواصل فيها مع عالم التشكيل وهي النافذة التي اطل من خلالها على العالم لانني ببساطة اعتبر نفسي الوريث والابن الشرعي لهذا الارث الحضاري الذي ارسى الاسس المدنية قبل اكثر من خمسة الاف سنة باكتشافه الحرف الاول وعالم الكتابة وعوالم الفن والموسيقى.

وعن اهم ما يميز اعماله قال :

علي العجيلي

اضافة الى توظيف المفردات السومرية والحروف المسمارية والعربية في تركيبة اللوحة فان اهم ما يميز اعمالي هو استخدام المواد البارزة على سطح اللوحة الخشن والمواد اللونية المختلفة التي تظهر الوان اللوحة وكانها قديمة او متاكلة وذلك لتنسجم مع المفردات المستمدة من الموروث الشعبي الموغل في القدم. وعن مشاركاته الفنية قال :

بعد تجيير الفعاليات الفنية لخدمة السلطة وشخص الدكتاتور عزفت عن المشاركة في جميع النشاطات الفنية التي اقيمت في الداخل ولم ازاول نشاطاتي الفنية الا بعد لجوئي الى المملكة الاردنية حيث شاركت بثلاثة معارض فنية مشتركة هناك اثنان منها اقامتهما رابطة التشكيليين الاردنيين والثالث اقامته منظمة اليونسيف لفناني المنفى وقد اسهمت تجربة المنفى في بلورة توجهي الفني بشكل كبير وذلك من خلال تواصلي مع المؤسسات الثقافية والفنية ونشر العديد من التخطيطات والرسوم في عدد من الصحف والمجلات العربية ابرزها العرب اليوم، الزمان، المسلة، الوفاق وحين عدت بعد التغيير الى ارض الوطن شاركت في جميع المعارض المشتركة التي اقامتها جمعية التشكيليين العراقيين فرع ذي قار كما شاركت في معرض متحف الناصرية ومعارض فنية اخرى اقيمت في مقرات الاحزاب الوطنية، وحاليا استعد للمشاركة في معرض نهارات المدى و معرض جمعية التشكيليين الثاني اللذين من المؤمل اقامتهما في غضون الايام القليلة القادمة. وفي الختام ناشد التشكيلي علي عجيل وزارة الثقافة والمؤسسات الفنية والثقافية لدعم الحركة التشكيلية وعدم تركها تواجه مصيرها بمفردها وسط عالم من الفوضى، موضحا ان المبدع وفي ظل هذه الظروف الاستثنائية لا يمكنه ان يوفق ما بين متطلبات الحياة والعمل الابداعي مذكرا المعنيين بما تمثله الاعمال الفنية في حياة الشعوب كونها تمثل الواجهة الحضارية للبلد.